

## استثمار الخطأ في التوجيه التربوي رؤية مقاصدية

جمال أحمد بادي\*

### Abstract

Committing mistakes by human beings in something natural and is no problem in itself. Rather people's attitude towards it and their view of the erroneous person betrays educational defects that might lead to many psychological and social ailments. Foremost of these ailments are fear complexes of falling into error. This in turn results in lack of self-confidence, fear of shouldering any responsibility, abstaining from involvement in intellectual and scientific creative activity and loss of the spirit of initiative. Reflection on the Qur'an's and Prophet's way of dealing with human beings' mistakes reveals the Islamic approach to turning committing mistakes into advantage by considering it an opportunity for educational reorientation and edification. Thus Islam adopts a positive attitude toward people's mistakes based on the shari'ah objective of realizing good and preventing evil. This article addressed the following questions: What are the major features of the Islamic approach to dealing with mistakes? How does it turn the different cases of error and mistake into advantage to reshape people's behaviour? What is the impact of this approach on the person's psychology and conduct? How to benefit from the Islamic approach in the education and reform of contemporary Muslim societies?

### مستخلص البحث

وقوع الإنسان في الخطأ أمرٌ طبيعيٌّ، وبالتالي فهو ليس مشكلة في حدّ ذاته. ولكن

---

\* أستاذ مشارك بقسم الدراسات العامة بكلية معارف الوحي والعلوم الإنسانية بالجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

مواقف الناس منه ونظرهم إلى الشخص الواقع فيه كثيراً ما ينم عن قصور تربوي قد يؤدي إلى أمراض نفسية واجتماعية كثيرة، لعل أهمها عقدة الخوف من الوقوع في الخطأ التي تتسبب في فقدان الثقة بالنفس والإحجام عن الإبداع الفكري والعلمي، والتهيب من تحمل المسؤولية وطمس روح المبادرة، لدى الشخص. وبالتأمل في أسلوب القرآن والسنة النبوية في التعامل مع أخطاء الناس نجد أن استثمار الخطأ في توجيه التربوي الإيجابي أمرٌ بارز في المنهج التربوي الإسلامي القائم على قاعدة جلب المصلحة ودرء المفسدة، ويقدم معالم مهمة في التعامل الإيجابي مع الخطأ الذي يمكن أن يقع الإنسان. يحاول هذا المقال الإجابة عن الأسئلة التالية: ما أهم معالم المنهج القرآني والنبوي في التعامل مع الخطأ؟ وكيف تم استثمار الوقائع والأحداث المختلفة التي أحطاً فيها أصحابها لتوجيه سلوكهم؟ وما آثار إعمال ذلك المنهج التربوي في نفسية وسلوك من وقع في الخطأ؟ وكيف يمكن جعل تلك الأمثلة نماذج لتكون نبراساً تربوياً هادياً للإصلاح في المجتمعات الإسلامية المعاصرة؟

## مقدمة

إن الإسلام يدعو إلى الإتقان والإحسان في العمل لقوله تعالى: ﴿لِيُبْلِغَكُمْ إِلَهُكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ (الملك: 2) وقوله ﷺ: «إن الله يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه».<sup>1</sup> وقوله ﷺ: «إن الله كتب الإحسان على كل شيء».<sup>2</sup> كما يرشد إلى آليات ضبط السلوك كالمراقبة والمحاسبة والمشاركة، وهي آليات لو أحسن الإنسان استعمالها فإنها تعصمه من الزلل وتدفعه

<sup>1</sup> أبو يعلى الموصلي، أحمد بن علي بن المثنى، مسند أبي يعلى، تحقيق حسين سليم أسد (دمشق: دار المأمون للتراث، ط1، 1984م)، الحديث 4386، ج7، ص349؛ العسقلاني، أحمد ابن حجر، المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية، تحقيق سعد بن ناصر بن عبد العزيز الشثري (الرياض: دار العاصمة، ط1، 1998م)، كتاب البيوع، باب الصناع وكسبهم، الحديث 1344، ج7، ص197.

<sup>2</sup> النيسابوري، مسلم بن حجاج، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، "كتاب الصيد والذبايح وما يؤكل من الحيوان، باب الأمر بإحسان الذبح والقتل وتحديد الشفرة"، الحديث 1955، ج3، ص1548.

نحو التطوير والتحسين وتساعده على تدارك الخطأ قبل فوات الأوان.

ومع ذلك فإنَّ الإسلام لا يتجاهل القصور الذي يعترى الطبيعة البشرية، ويُراعي حالات الضعف التي تصيبها والتي تقودها إلى احتمال الوقوع في الخطأ بل إلى حصوله. ولذلك نجد أن الإسلام افترض من البداية أوجه القصور في العبادات والطاعات من المؤمنين، فأوجد حلولاً للأخطاء التي قد يقعون فيها في العبادات من صلاة وصيام وحج ونحوها، بالإضافة إلى العفو والتجاوز عن قدر كبير من تلك الأخطاء. ومن هذا الباب يمكن النظر إلى الكفارات على أنها مثال جيد لهذا الموضوع.

ولقد عالج القرآن الكريم والسنة النبوية كثيراً من الأحداث والوقائع الحياتية للناس، بأسلوب تربوي مؤثر. وضمن تلك الوقائع أخطاء وقع فيها فرد أو مجموعة من أفراد المجتمع فتأتي التوجيهات الربانية أو النبوية لترشد وتقوّم وتوجه، وتحول تلك الأحداث وأبعادها المختلفة بتسجيلها وحفظها ضمن آيات القرآن الكريم والأحاديث الصحيحة إلى عبر وعظات يستفيد منها كافة أفراد المجتمع في ذلك الزمان خاصة، وعموم المؤمنين في كافة الأعصار وسائر الأمصار.

ويأتي تقرير المفاهيم وتصحيح التصورات وتقييم السلوك وإرشاد العقول استثماراً لتلك الأخطاء، لتهيئة النفوس وتيسير تفاعلها مع ذلك العلاج الذي يراعي مشاعرها ويهز وجدانها، ويذكرها بالسبيل القويم ويأخذ بيدها نحو الأمثل والأنفع في أمر دينها ودنياها. فللإسلام مقاصد تربوية فيما جاء به من أحكام وما يخفل به من توجيهات وما قرره من تعاليم ومبادئ وإرشادات، تدور كلها حول إعادة صياغة الشخصية الإنسانية وصبغها بصبغة جديدة. ولا تقتصر مقاصد الإسلام التربوية على ذلك، وإنما تتجلى أيضاً فيما يقدمه من علاج للأخطاء والانحرافات التي يقع فيها البشر، وذلك من حيث طبيعة المنهج الذي أرساها في التعامل مع تلك الأخطاء والانحرافات.

ويمكن تقسيم تلك الأخطاء إلى أنواع ، منها: أخطاء الجماعة وأخطاء الأفراد، وأخطاء في المسائل الدينية وأخرى في المسائل الدنيوية.

ومن أمثلة الأخطاء الجماعية ما ذكره القرآن الكريم بشأن بعض أحداث الغزوات، كبدنر وأحد وحنين وغيرها، لتقرير المسؤولية على الأفعال وتأكيد السنن التي لا تحابي أحدا. أما قصة الإفك فلها شأن آخر، فهي وإن كانت من الأحداث المؤلمة والتي فيها مسئولية جماعية إلا أنها ذات شقين. الشق الأول وهو ما يتعلق بمن تسبوا في إشاعة الإفك، وهو ما تعامل معه القرآن الكريم بكل حزم وحمل أصحابه تبعاته كاملة وتوعدهم بالعقاب، فجاء في وصف التعامل مع هذا الحدث في حقهم قول الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنْكُمْ لَا نَحْسَبُهُمْ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَبْرٌ لِّكُلِّ لَوْمَةٍ مِّنْهُمْ مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ وَالَّذِي تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾﴾ (النور: 11). أما الشق الثاني فيتعلق بما وقع من المؤمنين من أخطاء في التعامل مع الحدث، وهو الجانب المتعلق بهذه الدراسة لذلك سيكون الحديث عنه لاحقاً في موضعه المناسب.

## تعريف الخطأ ومراتبه<sup>1</sup>

ورد في القرآن الكريم التعبير بالخطأ؛ عما هو ضدّ الصواب، مثل قول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا لَوْلَا أَوْلَادُكُمْ خَشِيتُ مِمَّا مَلَاقَتْ بَنَاتُكُمْ وَإِيَّائَهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قُلُوبَهُمْ كَانَتْ خَطَأً كَبِيرًا ﴿٣١﴾﴾ (الإسراء: 31)، وفي قراءة (خطأ) بفتح الخاء، وهي قراءة ابن عامر وأبي جعفر. وقد يُسمى خطأ ما هو ضدّ التعمّد؛ لغفلة أو نسيان من غير قصد ولا إرادة. وقد ورد هذا الاستعمال في موضوع القتل ذاته في القرآن الكريم في قوله: ﴿وَمَا كَانَتْ لِمُؤْمِنٍ أَنْ يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَأً﴾ (النساء: 92). ومنه قوله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ وَضَعَ عَن أُمَّتِي الْخَطَأَ وَالنَّسْيَانَ وَمَا اسْتَكْرَهُوا عَلَيْهِ»<sup>2</sup>.

ومن مراتب الخطأ: الخطأ الناتج عن اجتهاد في البحث عن الحقيقة، ومنه وجهة

<sup>1</sup> انظر زيدان، عبد الكريم، الوجيز في أصول الفقه (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1985)، ص 115-116.

<sup>2</sup> ابن ماجه، سنن ابن ماجه، تحقيق بشار عواد معروف (بيروت: دار الجليل، 1998م)، كتاب الطلاق، باب طلاق المكره والناسي، الحديث 2045، ج3، ص445.

النظر التي تتأثر بالمشاعر السلبية، ومنه ما هو نتيجة عمل غير مقصود لذاته، ومنه ما هو نتيجة ضعف بشري في وقت ما.

## المقصود باستثمار الخطأ في هذه الدراسة

تسعى هذه الدراسة إلى بيان الوسائل والصور الممكنة في توظيف الخطأ غير المقصود في التوجيه التربوي من خلال استعراض بعض النماذج القرآنية والحديثية في الموضوع على سبيل التمثيل لا الحصر. وسيكون ذلك باستعراض بعض النماذج أولاً، ثم يتم تصنيفها حسب الوسيلة التي استعملت في استثمار الخطأ ثانياً، ثم تبين كيفية الاستثمار لذلك الخطأ من خلال التعقيبات القرآنية والنبوية عليها ثالثاً، وأخيراً يتم ربطها بالواقع المعيش.

ويبدو من استعراض كثير من الأدلة والوقائع أن الفعل إذا كان عن فهم سقيم وسوء قصد وأدى إلى الإضرار بالآخرين من أفراد المجتمع، فإن الموقف يختلف والمسؤولية على الخطأ حينئذ تكون متقررة وثابتة. انظر مثلاً إلى موقف النبي ﷺ من المنافقين، وانظر إلى غلاة أهل البدع الذين أدت بهم بدعتهم إلى تكفير المسلمين أو قتالهم، وانظر إلى حدود الكبائر كالسرقة والزنا وشرب الخمر. في هذه الحالات نجد أن الموقف يختلف حيث الحسم والتنديد والإغلاظ وعدم الإعذار. وهذا القسم لا يدخل في مجال هذه الدراسة. أما إذا كان الخطأ عن اجتهاد في الوصول إلى الحقيقة أو وجهة نظر تأثرت ببعض المشاعر السلبية، أو كان الخطأ نتيجة عمل غير مقصود لذاته، أو كان نتيجة ضعف بشري في وقت ما، هنا نجد موقف القرآن والسنة موقف التسامح والعفو مع الإرشاد والتعليم والدلالة على السلوك الخير البديل. وهذا هو ما اصطلحت الدراسة على تسميته بتوظيف الخطأ غير المقصود تربوياً. انظر على سبيل المثال إلى تعامل القرآن مع من أخطأ في التعامل مع قصة الإفك من المؤمنين بعد وقوعها في مقابل التعامل مع من تسبب في وقوع الحدث كما مر سابقاً، وانظر إلى تعامل الإسلام مع القتل الخطأ في مقابل التعامل مع القتل العمد. وعلى ذلك فقس.

## استثمار الخطأ وسيلةً للتعليم والتربية

1. تحقيق الاجتهاد: فتح الإسلام المجال أمام الاجتهاد البشري ليتفاعل مع الوحي في السعي إلى إيجاد حلول للمشاكل الواقعية، وذلك بتزليل أحكامه وتطبيقها، وهو سعي قابل للصواب والخطأ. ولما كان الاجتهاد أداة الإبداع في الإسلام احتاج إلى تامين المحاولة والجهد المبذول، ولا يتم ذلك إلا بتقبل الخطأ. ويخطو الإسلام خطوة أخرى إلى الأمام لا بمجرد تقبل الخطأ والتسامح مع خطأ من اجتهد بل بأن جعل على الخطأ أجراً. فالأجر إذاً إنما هو تامين للمحاولة التي ينتج عنها في حال الخطأ عدم الشعور بالذنب، لا اللوم أو توبيخ النفس، الأمر الذي يقوّي الثقة بالنفس ويشجع تكرار المحاولة والاستمرار في القيام بالفعل الاجتهادي، وبذل الجهد فيه بنفسية تواقّة لا تهاب الوقوع في الخطأ فلا يكون احتمال الوقوع في الخطأ عائقاً نفسياً يقعد بها عن الإبداع والفعل الاجتهادي. فلولا الأجر على الخطأ في الاجتهاد والتشجيع عليه بمثل هذا الأسلوب، لما جرؤ عالم على الاجتهاد خوف تحمل وزر الخطأ.

هذا من الناحية النظرية، أما من حيث التطبيق فنجد تشجيع الإسلام على الاجتهاد وتامين المحاولة وإن كانت خاطئة في إقرار الاجتهاد وتأخير العتاب على اجتهاد مرجوح إلى أن يتم إمضاء ذلك الاجتهاد المرجوح مع تقديم العفو في العتاب كما في قصة أسرى بدر. ويمكن اعتبار قوله تعالى: ﴿عَفَا اللَّهُ عَنْكَ﴾ (التوبة: 43) خطاباً لكل مجتهد اجتهد فأخطأ. وانظر إلى تعامل النبي ﷺ مع اجتهادات أصحابه كما في انقسامهم إلى فريقين في شأن صلاة العصر عندما أمرهم بصلاتهما في بني قريظة وأدركتهم في منتصف الطريق. وكذا عندما اختلف اثنان منهم في القراءة واحتكما إليه فأجابهما: «كلا كما محسن»<sup>1</sup>. ويمكن اعتبار «كلا كما محسن» عبارة موجهة لكل مختلفين في الرأي في أمر اجتهادي، إذا قام رأي كلٍّ منهما على حجة سائغة.

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار الفكر، د.ت)، "كتاب الخصومات، باب ما يذكر في الإشخاص والخصومة بين المسلم واليهودي"، الحديث 2410، ج5، ص70.

ومن أمثلة هذا التعامل ما جاء في حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: خرج رجلان في سفر، فحضرت الصلاة وليس معهما ماء فتيما صعيداً طيباً، فصليا ثم وجدا الماء في الوقت، فتوضأ أحدهما وأعاد الصلاة ولم يُعِد الآخر، ثم أتيا رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكرا ذلك له، فقال للذي لم يعد: «أصببت السنة وأجزأتك صلاتك»، وقال للذي توضأ وأعاد: «لك الأجر مرتين»<sup>1</sup> وفي رواية النسائي قال صلى الله عليه وسلم للذي توضأ وأعاد: «أما أنت فلك مثل سهم جمع»<sup>2</sup>.

ويمكن ربط هذا الموضوع بواقع الحياة في أكثر من مجال. الأول: في مجال تربية الأطفال والتنشئة الأسرية. فالطفل الصغير الذي بدأ يتعلم الإمساك بالأشياء الصغيرة مع المشي وأراد أن يحضر إلى أبيه كوباً من الماء فيما لو وقع منه الكوب وانسكب ما فيه من الماء على ملابس أبيه والفرق في الأثر الذي يتركه أسلوب تعامل الوالد مع الحدث سلباً كان أو إيجاباً في سلوك الطفل ونفسيته ومدى الثقة في النفس والدافعية لتكرار الفعل أو التردد فيه بل وفي غيره من الأفعال المماثلة. والثاني: في مجال التعليم حيث يمكن أن تطبق هذه القاعدة نفسها لتشجيع الطلاب على المشاركة في الفصل الدراسي واتباع أسلوب التعامل المفتوح والإيجابي مع إجاباتهم ومشاركاتهم الخاطئة. والأمر نفسه ينطبق على إعداد الدعاة وتوجيههم.

<sup>1</sup> أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الفكر، د.ت)، "كتاب الطهارة، باب في التيمم بجد الماء بعد ما يصلي في الوقت"، الحديث 338، ج1، ص133. والنسائي، سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986م)، "كتاب الغسل والتيمم، باب التيمم لمن يجد الماء بعد الصلاة"، الحديث 433، ج1، ص213.

<sup>2</sup> قال السندي في شرح معنى "سهم جمع": "أي سهم من الخير جمع فيه أجر الصلاتين". السندي، نور الدين بن عبد الهادي، حاشية السندي على النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986م)، الحديث 433، ج1، ص213.

## 2. الخطأ بوصفه وسيلة من وسائل التعليم والاعتبار على المستويين الفردي والاجتماعي:

أ. اعتبر الإسلام الخطأ وسيلة من وسائل التعليم والاعتبار، فرتب على ذلك ضرورة حسن التعامل مع الخطأ لتقويم سلوك أفراد المجتمع، لما لذلك الأسلوب من أثر إيجابي في المخطئ أو المخطئين ليتعلموا ويفيدوا من أخطائهم فيؤوبوا إلى الحق، ويرجعوا إلى صف المجتمع متناغمين مع وحدته وتماسكه. ومن ذلك قصة الثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك!<sup>1</sup> يقول تعالى: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى الَّذِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْمُسْرَةِ مِنْ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبَ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُ بِهِمْ رُءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١١٧﴾ وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا صَافَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَصَافَتْ عَلَيْهِمْ أَنْفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ ﴿١١٨﴾﴾، ثم قال معقبا ومرشدا وموجها: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ﴿١١٩﴾ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ مَنَّ حَوْكُمٍ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَحَلَّفُوا عَنِ رَسُولِ اللَّهِ وَلَا يُرْعَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنِ نَفْسِهِ﴾ (التوبة: 117-120).

وانظر في هذا الشأن أيضاً تعامله ﷺ مع من واقع زوجته في نهار رمضان، إذا اعتبرنا أن وقاعه كان خطأ وليس عمداً. يقول أبو هريرة ؓ: «بينما نحن جلوس عند النبي ﷺ إذ جاءه رجل فقال: يا رسول الله هلكت! قال: ما لك؟ قال: وقعت على امرأتي وأنا صائم، فقال رسول الله ﷺ: هل تجد رقبة تعتقها؟ قال: لا، قال: فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين؟ قال: لا، فقال: فهل تجد إطعام ستين مسكينا؟ قال: لا، قال: فمكث النبي ﷺ فبينما نحن على ذلك أتى النبي ﷺ بعرق فيها تمر (والعرق المكتل)، قال: أين السائل؟ فقال: أنا، قال: خذها فتصدق به، فقال الرجل: أعلى أفقر مني يا رسول الله؟ فوالله ما بين لابتيها (يريد الحرتين) أهل بيت أفقر من

<sup>1</sup> انظر تفاصيل القصة في: ابن هشام، السيرة النبوية، تحقيق مصطفى السقا وآخرين (القاهرة: مصطفى الباني الحلبي، ط2، 1955م)، ج2، ص515-529. وقد أفرد ابن القيم في زاد المعاد فصلاً للفوائد المستنبطة من القصة. انظر: ابن قيم الجوزية، محمد شمس الدين بن أبي بكر، زاد المعاد في هدي خير العباد، تحقيق شعيب الأرنؤوط وعبد القادر الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط4، 1986م)، ج3، ص488-494.



أهل بيتي، فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، ثم قال: أطعمه أهلك»<sup>1</sup>.  
والطريف أن ابن حجر استقصى عبارات ذلك الرجل في التعبير عن مشكلته، وهي في مجموعها تصور حالة المخطئ النفسية بعد إفاقته من الخطأ. فكان منها ما جاء عن الزهري: "جاء رجل وهو ينتف شعره ويدق صدره ويقول: هلك الأبعد"، ولمحمد بن أبي حفصة: "يلطم وجهه"، ولحجاج بن أرطاة: "يدعو ويله"، وفي مرسل ابن المسيب عند الدارقطني: "ويحني على رأسه التراب"<sup>2</sup>.  
ولسائل أن يتساءل: ما الذي جعل النبي ﷺ يضحك من صنع ذلك الصحابي مع أن الحادثة تشكّل تحدياً سلوكياً لمخزورات الصوم، وتجاوزاً لحدود الصائم التي رسمها له الشرع؟ يقول ابن حجر في تعليل ذلك: "قوله: فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه، في رواية ابن إسحاق: حتى بدت نواجذه، ولأبي قرة: في "السنن" عن ابن جريج: حتى بدت ثناياه، ولعلها تصحيف من أنيابه فإن الثنايا تبين بالتبسم غالباً، وظاهر السياق إرادة الزيادة على التبسم. ويُحتمل ما ورد في صفته ﷺ أن ضحكه كان تبسماً على غالب أحواله، وقيل: كان لا يضحك إلا في أمر يتعلق بالآخرة، فإن كان في أمر الدنيا لم يزد على التبسم، قيل: وهذه القضية تعكر عليه، وليس كذلك فقد قيل: إن سبب ضحكه ﷺ كان من تباين حال الرجل حيث جاء خائفاً على نفسه راغباً في فدايتها مهما أمكنه، فلما وجد الرخصة طمع في أن يأكل ما أعطيه من الكفارة، وقيل: ضحك من حال الرجل في مقاطع كلامه، وحسن تأتبه وتلفظه في الخطاب، وحسن توسله في توصله إلى مقصوده".

ولا يفوت ابن حجر أن يذكر من الدروس التربوية التي تؤخذ من هذه القصة ما يؤسس لعموم التوجيه التربوي في تلك المواقف وما ماثلها في شأن توظيف الخطأ،

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، "كتاب الصوم، باب إذا جامع في رمضان". الحديث 1936، ج4، ص163.

<sup>2</sup> ابن حجر، فتح الباري مع صحيح البخاري، ج4، ص164.

بقوله: " وفيه الرفق بالمتعلم والتلطف في التعليم والتألف على الدين ".<sup>1</sup>

ب. تحويل المحنة إلى منحة، والنقمة إلى نعمة، والتحدي إلى فرصة، كما في قصة الإفك: والخطأ الذي نعينه في هذه القصة هو تناقل الخبر وإشاعته من قبل فريق من المؤمنين دون تثبت وعلم. وقد وصف القرآن الكريم ذلك الحدث بقوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ (النور: 11)، وهو أمر عجيب خلاف المسارات الذهنية وقوالب الإدراك التي لا تتوقع خيراً في أمر يسوؤها وتكرهه.<sup>2</sup> وهو تطبيق عملي ومثال واقعي لحقيقة قررها القرآن الكريم مرات كما في قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهُ لَكُمْ وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَى أَنْ تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (البقرة: 216)، وقوله سبحانه: ﴿فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (النساء: 19).

وانظر إلى التوجيهات الربانية التي صدرت للمؤمنين عقبه، حيث يقول سبحانه وتعالى في توجيه سلوكهم توظيفاً للخطأ غير المقصود في التوجيه التربوي: ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنْفُسِهِمْ خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ﴾ (١٢) ﴿لَوْلَا جَاءَهُ عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشُهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ﴾ (١٣) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَنْفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (١٤) ﴿إِذْ تَلَقَوْنَهُ بِآلْسِنِكُمْ وَقُولُونَ يَا أُوْهُرَاهِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّئًا وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ﴾ (١٥) ﴿لَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ هَذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ (١٦) ﴿يَعْظُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (١٧) ﴿وَبَيْنَ اللَّهِ لَكُمْ الْآيَاتِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ (١٨) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ ءَامَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ (١٩) ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ وَأَنَّ اللَّهَ رءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٠) ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّبِعُوا خُطُوبَاتِ الشُّبُهَاتِ وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُوبَاتِ الشُّبُهَاتِ فَإِنَّهَا يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ (٢١) ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُولُو الْفَضْلِ مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ يُؤْتُوا أُولَى الْقُرْبَى وَالْمَسْكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلِيَعْلَمُوا وَلِيَنْصَفَحُوا أَلَا يُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٢٢) ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ الْفَاحِشَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ لَعُنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ (٢٣) ﴿يَوْمَ تَشْهَدُ عَلَيْهِمْ أَلْسِنَتُهُمْ وَأَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (٢٤) ﴿يَوْمَ يُؤْمَرُ بَعْضُهُمْ

<sup>1</sup> المصدر نفسه، ج4، ص172.

<sup>2</sup> قارن هذا الأمر بقوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ﴾ (آل عمران: 180).

اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ الْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَقَدْ بَدَأَ الْخَيْبَ وَالْخِجَابِ وَالْحَيْثُوتَ وَالْحَيْثُوتَ وَالطَّيِّبَاتِ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ أُولَئِكَ مُبَرَّءُونَ مِمَّا يَقُولُونَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿١٦﴾ (النور: 12-26).

من أوجه توظيف الخطأ في توجيه السلوك في هذه القصة، ما أشار إليه العلامة السعدي بقوله: "ففيه أن المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، واجتماعهم على مصالحتهم، كالجسد الواحد، والمؤمن للمؤمن، كالبنيان يشد بعضه بعضاً. فكما أنه يكره أن يقدح أحد في عرضه، فليكره من كل أحد، أن يقدح في أخيه المؤمن، الذي بمنزلة نفسه، وما لم يصل العبد إلى هذه الحالة، فإنه من نقص إيمانه، وعدم نصحه".<sup>1</sup>

ويلاحظ المتتبع لروايات قصة الإفك في كتب السنة والمغازي والسير أن الذي أشارت إليه الآيات - كما وضعه السعدي - قد صدر عن أحد الصحابة في حوار مع زوجته أيام تلك الفتنة، وتفاعل المجتمع مع الحدث فيما تنقله لنا الروايات. فقد روى أصحاب المغازي عن ابن أبي حبيبة عن داود بن الحصين عن أبي سفيان عن أفلح مولى أبي أيوب الأنصاري "أن أم أيوب قالت لأبي أيوب: ألا تسمع ما يقول الناس في عائشة؟ قال: بلى، وذلك الكذب، أفكنت يا أم أيوب فاعلة ذلك؟ فقالت: لا والله. قال: فعائشة والله خير منك".<sup>2</sup>

إن وجود مثل هذه الرواية وغيرها مما يشابهها، ومجيء القرآن فيما بعد بما يدل على صحة موقف أصحابها ضمن ما قررته الآيات من توجيهات، دليل على حسن صنيع أولئك الصحابة رضي الله عنهم في اتخاذ موقف جريء خلاف ما كان عليه الناس عموم المجتمع بما في ذلك أقرب الناس إليهم، ودليل على رجاحة عقولهم، وحصافة رأيهم وسداده، وفيه تزكية لموقفهم الحكيم.

وكأني بذلك الصحابي الجليل رضي الله عنه يخاطب زوجته بعد نزول الآيات التي تبرئ عائشة رضي الله عنها، بما قرره هو وجاء القرآن موافقاً له، وخالفه فيه غيره، قائلاً لزوجته: أتذكرين يوم أن قلت لك كذا وكذا؟ وكأني بتلك الصحابية - في الرواية

<sup>1</sup> السعدي، عبد الرحمن، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان (بيروت: مؤسسة الرسالة، 1999م)، ص 511-512.

<sup>2</sup> الواقدي، كتاب المغازي، تحقيق مارسدن جونس (بيروت: عالم الكتب، ط3، 1984م)، ج2، ص434.

المذكورة أعلاه - رضي الله عنها تفخر بزوجها، وتشكره على حسن صنيعه، وسلامة موقفه وإن لم تحمل لنا الأخبار تلك التفاصيل.

كما نلاحظ تكرر جملة: "ولولا فضل الله ورحمته" ثلاث مرات في التوجيه التربوي في الموقف الواحد، وهو أمر له دلالاته. ومن هذه الدلالات: تغليب جانب الرحمة والفضل على جانب الغضب والعقاب في مثل هذه المواقف التي يصدر فيها خطأ جماعي نتيجة الغفلة وعدم التثبت.

ج. استثمار الخطأ باعتبار الرجوع عنه خير من التماذي في الباطل من أعظم وسائل الإسلام في استثمار الخطأ، فتح باب الأوبة والتوبة أمام المخطئين، وقد شرع الاستغفار ليتدارك المسلم ما فات، وليبقى أمامه باب الأمل في رحمة الله وعفوه مشرعاً. ولا تسئل عن حال صاحب الذنب أو الخطأ بعد تذوق لذة التوبة، بل إن أمره يصبح أحسن من ذي قبل، فيزيد إيمانه، ويصلح حاله، ويزداد قرباً من الله تعالى، وإقبالاً عليه، وتتضاعف أعماله الصالحة، وتقوى عزمته، وتتجدد همته صعوداً نحو المعالي. يقول تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾ (الفرقان: 70). ويقول النبي ﷺ: «إن الله يبسط يده بالليل ليتوب مسيء النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيء الليل»<sup>1</sup>. وقد أدى ورود الأدلة الكثيرة في شأن التوبة ببعض علماء السلوك إلى مناقشة مسألة: هل المطيع الذي لم يعص خيراً من العاصي الذي تاب إلى الله توبة نصوحاً، أم هذا التائب أفضل منه؟ يقول ابن القيم: "إن الذنب قد يكون أنفع للعبد إذا اقترنت به التوبة، من كثير من الطاعات"<sup>2</sup>. وفي القرآن والسنة نماذج كثيرة لمؤمنين ومؤمنات رجعوا وتابوا، وكانت توبتهم فاتحة خير لهم، كالثلاثة الذين خلفوا في غزوة تبوك. يقول تعالى: ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوا﴾ وذلك نتيجة صدقهم ولجوتهم إلى ربه: ﴿وَطُوبَىٰ لِمَنْ لَّمَّا لَمَّا كَانَ مِنَ اللَّهِ بِئْسَ مَا يَكُونُ﴾ (التوبة: 118).

وعلينا معاملة الأنواع المشابهة من الأخطاء التي تصدر عن أولادنا وطلابنا وموظفينا

<sup>1</sup> البيهقي، أبو بكر أحمد بن حسين، السنن الكبرى (بيروت: دار الكتب العلمية، 1999م)، ج8، ص235.

<sup>2</sup> ابن القيم، مدارج السالكين (بيروت: دار الكتاب العربي، 1972)، ص299.

اليوم بالمنهج الرباني ذاته، فنفسح لهم الفرصة للعودة، كما ينبغي أن نهيأ للمخطئ الذي يريد أن يتراجع عن خطئه مناخ الرجوع إلى الحق. ويمكن اعتبار ما حصل في بعض البلدان الإسلامية في مجال الغلو في السنوات الأخيرة أمثلة حية في هذا الشأن. حيث رجعت مئات الأشخاص عن آراء الغلو والعنف غير المبرر بعد الحوار البناء معهم وإعطاء فرصة لهم لكي يرجعوا إلى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة. وهي تجربة ينبغي تعميمها والإفادة منها بناء على دراسات علمية عميقة.

### ضوابط التعامل مع الخطأ من أجل توظيفه في التوجيه التربوي

لكي يتم توظيف الخطأ غير المقصود في التعليم والتربية لتقويم السلوك البشري ليتوافق مع تعاليم الشريعة الغراء، أرسى الإسلام نظرة إيجابية للخطأ غير المقصود، ووضع ضوابط للتعامل معه ليحقق أهدافه الإيجابية ولا ينقلب إلى وسيلة هدم وعائق في وجه الإبداع وروح المبادرة ومن تلك الضوابط ما يأتي:

1. تجنب التقرير والتوبيخ والتعنيف لمن أخطأ دون سوء قصد وإحلال الإرشاد والتوجيه محله. على نحو ما فعله ﷺ مع من بال في المسجد،<sup>1</sup> ومع من تكلم في صلاته التي يروي أحداثها معاوية بن الحكم السلمي قال: صليت مع رسول الله ﷺ فعطس رجل من القوم فقلت يرحمك الله فرماني القوم بأبصارهم فقلت واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إلي؟ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم فعرفت أنهم يصمتوني فقال عثمان: فلما رأيتهم يسكتوني سكت. قال: فلما صلى رسول الله ﷺ بأبي وأمي ما ضربني ولا كهربي ولا سبني ثم قال: «إن هذه الصلاة لا يحل فيها شيء من كلام الناس هذا إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن».<sup>2</sup> ومن ذلك ما يرويه أنس بن

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار الفكر، د.ت)، "كتاب الوضوء، باب صب الماء على البول في المسجد"، الحديث 220، ج1، ص323.

<sup>2</sup> أبو داود، سنن أبي داود، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد (بيروت: دار الفكر، د.ت)، "كتاب الصلاة، باب تشميت العاطس في الصلاة"، الحديث 931، ج1، ص349.

مالك رضي الله عنه قال: "خدمت النبي صلى الله عليه وسلم عشر سنين فما قال لي أف ولا لم صنعت ولا أأ صنعت"<sup>1</sup>، ولا بد لخادم عشر سنين أن يقع في الخطأ.

وقد جعل الإمام الشاطبي التعليم والإرشاد أول حد في معاملة من تلبس ببدعة.<sup>2</sup> ويذهب الإمام ابن تيمية خطوة أخرى أبعد في كتابه "اقتضاء الصراط المستقيم" ليجعل درجة الصديق - وهي الدرجة التالية للأنبياء - درجة لا يشترط لأصحابها العصمة من الخطأ. يقول رحمه الله ما نصه: "فليس من شرط الصديق: أن يكون قوله كله صحيحاً، وعمله كله سنة، إذ قد يكون بمرتلة رسول الله صلى الله عليه وسلم".<sup>3</sup>

2. وقد يستخدم صلى الله عليه وسلم أسلوب التساؤل في توجيه المخطئ ليبين له عظم الأمر الذي وقع فيه. وهنا - في هذا النموذج - يتم توجيه سؤال لا ينتظر معه الجواب لظهور ذلك الجواب من جهة، ولعرفة المسؤول بالجواب إلا أنه قد لا يجيب خجلاً مما صنع من خطأ من جهة ثانية. نحو فعله صلى الله عليه وسلم مع أسامة عندما قتل من قال لا إله إلا الله فقال له: "كيف تفعل بلا إله إلا الله يوم القيامة؟" وقد أثر ذلك الأسلوب في أسامة رضي الله عنه أيما تأثير حتى أنه تمنى لو أنه دخل الإسلام ذلك اليوم.

يقول العامر في بيان أثر السؤال على المستمع: "عند طرح السؤال نثير انتباه المستمع نحو إجابة هذا السؤال، وبذلك استطعنا أن نحصر فكره نحو السؤال المطروح، فلا تشغل حواسه بشيء آخر، وعندئذ ينجح المتحدث في توجيه انتباه المستمع نحوه".<sup>4</sup>

3. وقد يحوّل الرسول صلى الله عليه وسلم أسلوب السؤال إلى حوار يغيّر من خلاله نظرة المخاطب إلى شيء ما من أمر شنيع كان يستحسنه بسبب شهوة عابرة، ليتمكن من

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار الفكر، د.ت)، "باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل"، الحديث 6038، ج10، ص456.

<sup>2</sup> الشاطبي، إبراهيم بن موسى، الاعتصام (القاهرة: دار الحديث، 1424هـ/2003م).

<sup>3</sup> ابن تيمية، اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم، تحقيق محمد حامد الفقي (القاهرة: مطبعة السنة المحمدية، ط2، د.ت.)، ص282.

<sup>4</sup> العامر، نجيب خالد، من أساليب الرسول صلى الله عليه وسلم التربوية (الكويت: البشري الإسلامية، 1990)، ص146.

رؤية ذلك الأمر على صورته الحقيقية المستقبحة. ومثاله في السيرة النبوية قصة الشاب الذي طلب من النبي ﷺ الإذن في الزنا. وقصته في مسند الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.<sup>1</sup> حيث سأله ﷺ: أتجبه لأمك؟ فيجيب الشاب: لا جعلني الله فداك. فقال ﷺ: أتجبه لابنتك؟ فأجاب: لا جعلني الله فداك. وفي آخر القصة يتبين مدى تأثير ذلك الشاب بهذا المسلك النبوي الفعّال. يقول محمد أبو الفتح البيانوني: "ف قوله للشاب (أدنه) وتقريبه منه، ووضع يده عليه، ودعاؤه له كل ذلك من أساليب المنهج العاطفي الذي يحرك الشعور والوجدان ويأسر القلوب، ومناقشته ﷺ للشباب باستخدام القياس المساوي، ومجادلته له بالحسنى... من أساليب المنهج العقلي. فاستخدام هذين المنهجين معاً في هذا الموقف مظهر من مظاهر حكمته البالغة ﷺ في الأساليب".<sup>2</sup>

وللحوار فوائد جمة يلخصها نجيب العامر بقوله: "والحوار من الأساليب التربوية العظيمة الفائدة، فالحوار يشعر المتعلم أنه له رأي يستطيع أن يطرحه لمعلمه، ومن فوائد الحوار أنه يفتح فكر ووجدان المعلم والمتعلم فتتقارب بينهما الأفكار، وبالتالي يخرجون بنتائج تربوية إيجابية ترضي المعلم والمتعلم". ويرتب الكاتب على ذلك مسألة تربوية مهمة قائلاً: "ولهذا يجب أن نفتتح الحوار مع المراهقين ولنستمع إلى آرائهم وأفكارهم، فإن ذلك أدعى لوضع الحلول السليمة".<sup>3</sup>

ويوضح أحد مفكري العصر أثر الحوار في التفاهم بين الناس، وتطوير حياتهم بقوله: "يعني الحوار في أبسط صورته أن تُري محاورك ما لم يره، وأن يُريك ما لم تره. وهو في هذا مضاد للمناظرات التي تؤدي في أحيان كثيرة إلى تعميق البعد الواحد. إن

<sup>1</sup> أحمد، مسند أحمد، تحقيق شعيب الأرنؤوط (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط2، 1999م)، الحديث 22211، ج36، ص545.

<sup>2</sup> البيانوني، محمد أبو الفتح، المدخل إلى علم الدعوة (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط1، 1412هـ/1991م). ص250.

<sup>3</sup> العامر، من أساليب الرسول ﷺ في التربية، ص106.

الحوار يقوم على إدراك المحاور أن ليس كل ما يراه قطعياً نهائياً في كماله وإصابته مفاصل الصواب، ومقاطع الرشد، وأنه من خلال الحوار يستطيع أن يضيف شيئاً إلى ما عنده في صورة إثراء، أو في صورة تغيير أو تبديل.<sup>1</sup> "و حاجتنا اليوم إلى فتح باب الحوار مع الجيل الجديد لعدة أسباب منها الغلو الديني، ومواجهة تحديات التقنية والصدمة الرقمية وما يمكن أن ينتج عنها من أخطاء.

4. بيّنت الأحاديث النبوية في قصص الذين أخطأوا أن الخطأ قد يكون بناءً على مشاعر وجدانية تُقدّر وتُحترم ويُعفى عن صاحبها لأجلها. فقد يكون الخطأ من شدة الفرح كما في قصة من وجد راحلته التي تحمل أكله وزاده بعد أن فقدتها في الفلاة وقال: «اللهم أنت عبدي وأنا ربك»،<sup>2</sup> والتي فيها بيان فرح الله تعالى بتوبة عبده. وقد يكون الخطأ نتيجة الخوف كقصة من أمر أولاده بإحراقه وتذريته بعد موته. وكان خوفه الذي قاده إلى الخطأ سبباً في نيل مغفرة الله ورحمته.

وهكذا بقية المشاعر فقد يخطئ بعض الناس بدافع الحب والمحبة ويكون معذوراً أو ما يترتب على فرط المحبة من غيرة. يقول ابن القيم تعقيباً على حديث التوبة: "وفي الحديث من قواعد العلم: أن اللفظ الذي يجري على لسان العبد خطأ من فرح شديد، أو غيظ شديد، ونحوه. لا يؤاخذ به. ولهذا لم يكن هذا كافراً بقوله: "أنت عبدي وأنا ربك". ومعلوم أن تأثير الغضب في عدم القصد يصل إلى هذه الحال، أو أعظم منها. فلا ينبغي مؤاخذه الغضبان بما صدر منه في حال شدة غضبه من نحو هذا الكلام. ولا يقع طلاقه بذلك. ولا رده.<sup>3</sup>"

5. وقد يكون من هذا الباب حديث غيرة عائشة رضي الله عنها من ذكر خديجة

<sup>1</sup> بكار، عبد الكريم، فصول في التفكير الموضوعي (دمشق: دار القلم، 1993)، ص214-215.

<sup>2</sup> مسلم، صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، (بيروت: دار إحياء التراث العربي، د.ت)، كتاب التوبة، باب في الحظ على التوبة والفرح بها، رقم الحديث 2747، ج4، ص2104.

<sup>3</sup> ابن قيم الجوزية، مدارج السالكين (بيروت: دار الكتاب العربي، 1972)، ج1، ص209.



رضي الله عنها، وقلبها لصحن الطعام في حضرة رسول الله ﷺ، فلم يزد ﷺ عن أن ضحك من فعلها وقال: «غارت أمكم».<sup>1</sup> أما إذا كان الشعور الدافع سلبياً كالبعوض والحقد والحسد، فالدافع خطأ ممقوت شرعاً، ودفعه وتخليص النفس من شره وتطهيرها من أدرانها واجب شرعي. ومن باب أولى أن يكون الفعل المترتب على ذلك الدافع الممقوت كالغيبة والنميمة والسعي في إزالة النعمة وسائر أنواع الأذى مردوداً ولا يدخل في دائرة العفو إلا بشروط.

6. الابتعاد عن التشهير بالمخطئ وتجريحه أمام الناس حفظاً لكرامته، وحتى لا يفتضح إذا وقع الخطأ أمامهم، لكن لزم التنويه على ذلك الخطأ، حتى لا يتكرر وذلك بالإشارة إلى الخطأ، دون تحديد أصحابه بالاسم نحو قوله ﷺ: "ما بال أقوام" أو قوله: "إن أحدكم".<sup>2</sup> وهو أدعى للامتنان والقبول والانصياع للنصيحة، يقول الإمام الغزالي في حديثه عن كيفية التعامل مع أخطاء المتعلم: "أن يزرع المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن، ولا يصرح، وبطرق الرحمة لا التوبيخ، فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة على الهجوم بالخلاف، ويهيئ الحرص على الإصرار".<sup>3</sup>

ومن أمثلة ذلك قول النبي ﷺ: "ما بال أقوام يتنزهون عن الشيء أصنعه".<sup>4</sup>

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، تحقيق عبد العزيز بن باز ومحب الدين الخطيب (بيروت: دار الفكر، د. ت)، "كتاب النكاح باب الغيرة"، الحديث 5280، ج 10، ص 456.

<sup>2</sup> مثل قوله ﷺ: "إن أحدكم إذا كان في الصلاة فإن الله قبل وجهه، فلا يتنخم أحد قبل وجهه في الصلاة". البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، "كتاب الأذان، باب هل يلتفت لأمر يتزل به أو يرى شيئاً أو بصاقاً في القبلة"، الحديث 753، ج 2، ص 235؛ مسند أحمد، الحديث 5408، ج 9، ص 301.

<sup>3</sup> الغزالي، أبو حامد محمد، إحياء علوم الدين (بيروت: دار المعرفة، د. ت)، باب بيان وظائف المرشد المعلم، ج 1، ص 57.

<sup>4</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، "كتاب الأدب، باب من لم يواجه الناس بالعتاب"، الحديث 6101، ج 10، ص 513.

وكقوله: "ما بال أقوام يرفعون أبصارهم إلى السماء في صلاتهم؟"<sup>1</sup> يقول عبد الحميد الهاشمي: "إنها مواقف نفسية ذات حساسية خاصة يجد المرابي نفسه إزاءها بين عاملين لا بد من مواجهتهما معاً، عامل حياء محمود - حساسية يجب مراعاتها - وعامل التوجيه الذي لا يحتمل الإهمال.... في هذا الإطار النفسي البحث ممتزجا مع واجب التربية النفسية والسلوكية نستطيع أن نفهم كثيراً من أبعاد ذلك الشعار النبوي (ما بال أقوام يفعلون كذا وكذا). إنها على طريقة "إياك أعني واسمعي يا جارة"، وإنه الأسلوب الحكيم الذي تعني فيه الإشارة عن صريح العبارة"<sup>2</sup>. ويقول أيضاً: "محاولة التشهير والإعلان فيها إحراج نفسي، وخجل اجتماعي، لا يكون الإنسان معها في موقف يعينه على الانتباه والفهم والتعلم"<sup>3</sup>.

7. كما أرشد ﷺ صحابته والأمة جميعاً بأن يترثوا في إصدار الأحكام على الآخرين وألا يستعجلوا في تخطئتهم بناء على سوء الظن، أو خاطرة قامت في النفس بفعل وسوسة الشيطان والتي من شأنها أن تلون الإدراك والتصور للأمور على غير الحقيقة. وقد يترتب على هذا التسرع في إصدار الأحكام، فعل لا تحمد عقباه، بل قد تكون عاقبته المهلاك. ويفهم هذا من قصته ﷺ عندما كان راجعاً مع إحدى أمهات المؤمنين من المسجد إلى البيت بعد العشاء وقابله صحابييان فأسرعا الخُطى فقال لهما: على رسلكما إنها صافية! لذلك دعا الإسلام إلى الموضوعية، ونبذ الهوى: ﴿فَلَا تَتَّبِعُوا الْهَوَىَّ أَنْ تَدْبُرُوا﴾ (النساء: 135)، وترك الاعتماد على الظن: ﴿إِنَّ الظَّنَّ لَا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئاً﴾

<sup>1</sup> البخاري، صحيح البخاري مع فتح الباري، "كتاب الأذان، باب رفع البصر إلى السماء في الصلاة"، الحديث 750، ج2، ص233. ومسنده أحمد، الحديث 12065، ج19، ص121؛ والنسائي، سنن النسائي، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة (حلب: مكتب المطبوعات الإسلامية، ط2، 1986م)، "كتاب صفة الصلاة، باب النهي عن رفع البصر إلى السماء في الصلاة"، الحديث 1193، ج3، ص7.

<sup>2</sup> الهاشمي، عبد الحميد، الرسول العربي المرابي (الرياض: دار الهدى للنشر والتوزيع، ط2، 1405هـ—1985م)، ص161-167.

<sup>3</sup> المصدر السابق، ص158.

(يونس: 36)، (النجم: 28)، وطالب بإقامة الدليل على دعاوى: ﴿قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (البقرة: 111). كما طالب بالثبوت في الأخبار والمرويات: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنْ جَاءَهُمْ فَاسِقٌ بِنَبَأٍ فَتَبَيَّنُوا أَنْ تُصِيبُوا قَوْمًا بِمِثْلِهِمْ فَنُصِّحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ﴾ (الحجرات: 6).

## خاتمة

لقد جاء الوحي الإلهي بمصدره القرآن الكريم والسنة النبوية ليكون هادياً ومرشداً ومقوماً للسلوك البشري من خلال تفاعله مع الواقع والظروف التي تحيط بأفراد المجتمع الإنساني وتؤثر في حياتهم وتصوراتهم وسلوكهم وعلاقاتهم.

وقد كان للوحي أسلوبه التربوي الفريد القائم على تقويم الفطرة الإنسانية والمحافظة عليها ومراعاة التكريم الإلهي للإنسان بوصفه مناط قيمته التي تتجاوز سائر الاعتبارات والمعايير التي قد يبتكرها البشر ويعتمدونها في تقدير بعضهم بعضاً. ولا يهتز ميزان ذلك التقويم الفطري والتكريم الإلهي في النظر للإنسان سواء في حالة الاستواء والاستقامة أو في حالة الانحراف والخطأ، طالما أن نظام الشرع في أصوله وقيمه وأحكامه إنما غايته تحقيق صلاح البشر ودرء الفساد عنهم في كل شأن من شؤونهم همة لهم لبلوغ السعادة في الدنيا والآخرة.

لذا نلاحظ في كل النماذج التي استعرضها هذا المقال في تعامل القرآن الكريم والسنة النبوية مع الأخطاء التي وقع فيها المؤمنون في عصر تنزل الوحي، استثمارها تربوياً لتقويم سلوكهم، وتنوير عقولهم، واستجاشة عواطفهم بقصد تمكينهم وإعانتهم على تطبيق أحكامه وشرائعه.

إن إبراز هذا الجانب التربوي المهم في تعاليم الإسلام الذي سعت هذه الدراسة لإلقاء الضوء على بعض مسائله وقضاياها - بقصد الإفادة منه في توجيه المجتمع المعاصر،

يمكن أن يقدم عوناً للمربين في القيام برسالتهم نحو الأجيال الصاعدة، لتنشئتها تنشئة سليمة تمكنها من تجاوز الكثير من العقبات والتحديات التربوية المعاصرة بعون الله تعالى .  
وصلى الله وسلم وبارك على عبده ونبيه محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

## References:

## المراجع:

- Abū Dāwūd, *Sunan Abī Dāwūd*, ed. Muḥammad Muhyi al-Din Abd al-Hamid (Beirut: Dār al-Fikr, no date).
- Abū Ya‘lā, Aḥmad bin ‘Alī bin al-Muthannā al-Mūṣilī, *Musnad Abī Ya‘lā*, ed. Husayn Sālīm Asad (Damascus: Dar al-Ma‘mun li al-Turath, t1, 1984).
- Aḥmad, Ibn Ḥanbal, *al-Musnad*, ed. Shu‘ayb al-Arna‘ūt (Beirut: Muassat al-Risālah, 2<sup>nd</sup> edition, 1999).
- Al-Amir, Najīb Khalid, *Min Asālib al-Rasūl ﷺ al-Tarbawiyah* (Kuwait: al-Bushrā al-Islāmiyyah, 1990).
- Al-Bayhaqī, Abū Bakr Aḥmad bin Husayn, *al-Sunan al-Kubrā* (Beirut: Dār al-Kutub al-‘Ilmiyyah, 1999).
- Al-Beyanouni, Muhammad Abū al-Fath, *al-Madkhal Ilā ‘Ilm al-Da‘wah* (Beirut: Muassat al-Risālah, 1<sup>st</sup> edition, 1412/1991).
- Al-Bukhārī, Muḥammad Ibn Ismā‘īl, *Ṣaḥīḥ al-Bukhārī ma‘a Faṭḥ al-Bārī*, ed. Abd al-Aziz bin Baz wa Muhib al-Dīn al-Khatib (Beirut: Dar al-Fikr, no date).
- Al-Ghazālī, Abū Ḥāmid Muhammad, *Iḥya ‘Ulūm al-Dīn* (Beirut: Dār al-Ma‘rifah, no date).
- Al-Hashimi, Abd al-Hamid, *al-Rasūl al-‘Arabī al-Murabbī* (Riyadh: Dār al-Hudā li al-Nashr wa al-Tawzī‘, 2<sup>nd</sup> edition, 1405/1985).
- Al-Nasā‘ī, *Sunan al-Nasā‘ī*, ed. Abd al-Fattah Abū Ghuddah (Aleppo: Maktabat al-Maṭbū‘āt al-Islāmiyyah, 2<sup>nd</sup> edition, 1986).
- Al-‘Asqalānī, Aḥmad ibn Ḥajar, *al-Maṭālib al-‘Āliyyah bi Zawā‘id al-Masānid al-Thamāniyyah*, ed. Nāṣir bin ‘Abd al-‘Aziz al-Shashrī (Riyadh: Dār al-‘Aṣimah, 1<sup>st</sup> edition, 1998).
- Al-Nīsābūrī, Muslim bin Ḥajjāj, *Ṣaḥīḥ Muslim*, ed. Muḥammad Fu‘ād ‘Abd al-Bāqī (Beirut: Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, d. t).
- Al-Sa‘dī, Abd al-Rahman, *Taysīr al-Karīm al-Rahmān fī Tafsīr Kalām al-Mannān* (Beirut: Muassasat al-Risālah, 1999).
- Al-Shāṭibī, Ibrāhīm bin Mūsā, *al-Iṭīṣām* (Cairo: Dār al-Hadīth, 1424/2003).
- Al-Sindī, Nūr al-Dīn ‘Abd al-Hādī, *Hāshiyat al-Sindī ‘alā al-Nasā‘ī*, ed. Abd al-Fattah Abū Ghuddah (Aleppo: Maktabat al-Maṭbū‘āt al-Islāmiyyah, 2<sup>nd</sup> edition, 1986).

- Al-Wāqidī, *Kitāb al-Maghāzī*, ed. Mārsdun Jūns (Beirut: ‘Ālam al-Kutub, 3<sup>rd</sup> edition, 1984).
- Bakkār, Abd al-Karim, *Fuṣūl fī al-Taḥkīm al-Mawḍū‘ī* (Damascus: Dār al-Qalam, 1993).
- Ibn al-Qayyim, Abū ‘Abdullāh Muḥammad bin Abī Bakr, *Madārij al-Sālikīn* (Beirut: Dār al-Kitāb al-‘Arabī, 1972).
- Ibn al-Qayyim, Abū ‘Abdullāh Muḥammad bin Abī Bakr, *Zād al-Ma‘ād fī Hady Khayr al-‘Ibād*, ed. Shu‘ayb al-Arna’ūt & ‘Abd al-Qādir al-Arna’ūt (Beirut: Muassasat al-Risālah, 4<sup>th</sup> edition, 1986).
- Ibn Hishām, al-Sīrah al-Nabawīyah, ed. Mustafa al-Saqa et all. (Cairo: Mustafā al-Bābī al-Ḥalabī, 2<sup>nd</sup> edition, 1955).
- Ibn Mājah, *Sunan Ibn Mājah*, ed. Bashshar ‘Awad Ma‘ruf (Beirut: Dār al-Jīl, 1998).
- Ibn Taimīyah, *Iqtidā’ al-Ṣirāṭ al-Mustaqīm Mukhālafatu Aṣḥab al-Jahīm*, ed. Muhammad Hamid al-Fiqqi (Cairo: Maṭba‘ah al-Sunnah al-Muḥammadiyyah, 2<sup>nd</sup> edition, no date).
- Zaydan, Abd al-Karim, *al-Wajīz fī Uṣūl al-Fiqh* (Beirut: Muassasat al-Risālah, 1985).

